

بسم الله الرحمن الرحيم

* التوحيد في الأديان

د . سهير فضل الله أبو واقية

التوحيد دين الفطرة ، دين الكافة عقلاء وعلماء ، فلاسفة وأنبياء ، ورسول أصحاب

كتب ورسالات.

وهو قضية بديهية مسلم بها عن طريق الفطرة والعقل ، فطره الله التي خلق الانسان عليها

قال تعالى " واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى " (١)

ان هذا الاقرار بربوبية الله تعالى ووحدانيته سبحانه في عالم الذر انما يفتح فطريته عقيدة التوحيد ، وأن هذه العقيدة الفطرية منروزة في النفس الانسانية منذ خلق الله آدم ، وستظل كذلك في النفوس باقية ما بقيت النفوس.

والعقل الانساني يقر هذه الحقيقة الفطرية ويعلمها بدهمه قال تعالى " لئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله " (٢)

فالعقل يؤكد الوحدانية لله الخالق القادر لا اله الا هو ، والنفس يثبتها ، يقول في هذا المدد الفيلسوف بيرتراند رسل : ان القضية الدينية يجب ألا تقبل الا اذا كان لها سند كالسند المطلوب في القضية العلمية.

* ليس المقصود بالتوحيد في الأديان الوحدة بينهما بل البحث يثبت التوحيد بمعنى ان الله

(١) الاعراف : ١٧٢ واحد لا شريك له

(٢) لقمان : ٢٥

لذلك كانت دراستنا للتوحيد كأصل للأديان^(١) ، يعتمد على السند من النص والعقل معاً ،
وبيان لجوهر التوحيد في الأديان وأن اختلفت مسمياتها ، فالأصل واحد ، والجوهر أصيل ،
على الرغم مما شاب هذا الأصل من تغير وتحريف .

لقد عرف الإنسان عقيدة التوحيد من قديم الزمان ، عرفها قبل أن تصل اليه بشارات
الأنبياء ، ورسالات السماء ، عرفها قدماء المصريين فنادى بها أختاتون^(٢) وكانت عقيدة
التوحيد هي الانشودة التي تتشد كل صباح في المعابد ودور العبادة فيرددون .

لا اله الا الله واحد لا شريك له .

الله مفرد صمد مانع جميع المخلوقات .

الله روح مخبوءه عن أعين الناس والحيوان .

الله اله من الأزل فقبل وجود أي شيء كان لها .

والى جانب ذلك كانت ملاه أختاتون التي يدعو بها ربه دليلاً واضحاً على عقيدة التوحيد
اذ يقول : " هو الحي المبدى ، للحياء ، المنك لا شريك له في الخلق ، وكذلك كان يردد في
صلاته " ما أكثر خلانك التي تجلت ، أنت الاله الواحد الذي لا اله غيره ، خلقت الأرض
بمشيئتك وتفردت فعمرت الكون بالإنسان والحيوان والكبار والصغار .

وسجل المصريون القدماء ، على أوراق البردي وعلى جدران المتاحد ما يشهد على عقيدتهم في
التوحيد^(٣) وإيمانهم بالله الواحد القادر العالم وأنه لم يكن اله وادي النيل فقط ، بل
اله كل الناس وكل العالم^(٤)

(١) Herve' Rousseau: Les Religions " Que Sais - je " p 46

(٢) المرجع السابق ص ٤٩

(٣) H. Frank Fort and others: Before philosophy. P/10

(٤) جيمس هنري برنتيسيد : تطور الفكر الديني ترجمه زكي سوس ص ٤٢٢ دار الكرنيك

ثم كانت ديانات الفلاسفة التي تحدثت عن اله واحد فوق الآلهة لمتعدده ، فـأرب
أكسينوفان الشرك بكل صوره ، وأثبت أفلاطون الوجدانية لله وجعله مثال الخير الذي ينطوى
على الخير المطلق . وجاء أرسطو ليقرر المبدأ الأول أو المحرك الأول الذي يدبر حركة
العالم ويسيره فى انتظام وتناسق ، وأنه واجب الوجود لذاته ، وأنه واحد قديم لا يتغير
ولا يتبدل .

وكذلك كانت الديانات الوثنية ، على الرغم من قولها بألمين قد يعين الا انها
كانت تغلب فى النهايه الها واحدا هورب الأرباب ، تقول الصابئة ، انا نحتاج فى معرفة
الله ومعرفة طاعته وأوامره وأحكامه الى متوسط ، لكن ذلك المتوسط . . يجب أن يكون روحانيا
لا جسمانيا وذلك لا ذكاء الروحانيات وطهارتها ، وقربها من رب الأرباب (١) . والمجوس
كذلك الذين أثبتوا ألمين اثنين مديرين قديمين يقنسمان الخير والشر ، والنفع والضرر ،
والعلاج والفساد ، يسمون أحدهما النور ، والثانى الظلمه . . . الا ان المجوس الأصليه
ذهبت الى انه لا يجوز أن يكونا قديمين اذليين بل النور أزلى والظلمه محدثه ، ثم اختلفوا
فى سبب حدوثهما أمن النور حدثت ، والنور لا يحدث شرا جزئيا ، فكيف يحدث أصل الشر . . .
لاشئ يشترك النور فى الاحداث والقدم (٢) .

شرك
المجوس

من ذلك نرى أن المجوس على الرغم من قولها بألمين اثنين مديرين ، الا انها
يقررون أن النور أزلى غير محدث ، وهو أصل واحد لا يشرك معه آخر فى الاحداث والقدم .

بب الاوس

(١) الشهر ستانى : الملك والنحل على حاشى الفصل فى الملك والاهواء والنحل لاین حزم ح ص ٧٠

(٢) المرجع السابق ح٢ ص ٧٢ .

وتذهب الكيومرثية^(١) من المجوس الى القول بأصلين هما يزدان وأهرمن ، الا انه...
تقريبان يزدان أزلى قديم ، وأهرمن محدث مخلوق^(٢) .

ثم زادوا فقالوا أن يزدان فكر في نفسه انه لو كان له منازع كيف يكون وهذه فكره رديئه
غير مناسبه لطبيعه النور فحدث الظلام^(٣) .

هكذا فسر كيومرث نشأه الوجود وأثبت التفرد والوحدانية ليزدان الأزلى القديم ، وأن أهرمن
محدث مخلوق انفصل عن يزدان لأنه يخالفه طبيعه وقولا ، ولا يستطيع الظلام أن يحيا مع النور ،
ولا أن يحيا النور مع الظلام ، ولذلك ترك العالم السفلي خالما لأهرمن .

وتعتقد الزروانية من المجوس أيضا أن النور أبداع أشخاصا من نور كلها روحانية نورانية
ربانية ، ولكن الشخص الأعظم شك في شيء من الأشياء فحدث أهرمن الشيطان من ذلك الشك ،
وحدث صراع بين النور والشيطان لما بين يديه من خيب وشراهة فلعمنة وطرده ، أما هرمز فقد
اتخذة القوم ربا وعبده لما وجدوا فيه من الخير والطهارة والصلاح^(٤)

وتقر المسخية كذلك من المجوس أن النور كان وحده نورا محضا ثم انسخ بعنه فصار ظلمة^(٥) .

من مذاهب المجوس ومعتقداتهم نستطيع أن نتبين ميلهم الى اقرار مبدأ واحد يرد اليه

الاثنان ، له السبق والتفرد والاحداث. ولقد شهدت هذه العقيدة لظهور الدين السدي
اعتنقته الفرس بعد ذلك وعاصر الاسلام ، ونقصد به الديانة الزرد شتية^(٦) التي تتحدث

(١) نسبة الى كيومرث التي زعمت الكيومرثية انه آدم عليه السلام وقد ورد في تواريخ الهند بالمعجم

كيومرث آدم ويخالفهم سائر أصحاب التواريخ أنظر الشهر ستاني الملوك ج٢ ص ٢٢

(٢) المرجع السابق ج٢ ص ٢٢

(٣) المرجع السابق

(٤) المرجع السابق ج٢ ص ٧٥

(٥) المرجع السابق ج٢ ص ٧٦ - ٧٧

(٦) المرجع السابق ج٢ ص ٧٨

عن اله واحد خالق مبدع تدعو الى عبادته وحده ، والكفر بالشيطان وتفسر نشأه العالم بأن
النور والظلمه أملاان متضادان ، وكذلك يزدان وأهر من هما مبدأ موجودات العالم وحملت
التراكيب من امتزاجهما ، وحدثت الصور من التراكيب المختلفة ، والبارى تعالى النور
والظلمه ومبدعهما ، وهو واحد لا شريك له ، ولا ضد ، ولا تد ، ولا يجوز أن ينسب اليه وجود
الظلمه كما قالت الزروانيه ، ولكن الخير والشر والملاح والفساد والظهاره والخبت انما
حملت من امتزاج النور والظلمه ، ولو لم يمتزجا لما كان وجود للعالم وهما يتقاومان ويتنالبان
الى أن يغلب النور الظلمه والخير الشر ، ثم يتخلص الخير الى عالمه ، والشر ينحط الى عالمه ،
وذلك هو سبب الخلاص والبارى تعالى مزجها لحكمه رأها (١).

من هذا النص يمكننا أن نتبين عقيدة التوحيد في الديانه الزرد شتيه لأن منطق المذهب
يقول بوجود اله ابدع المبدأين النور والظلمه وهو واحد لا شريك له ولا تد ، والله تعالى
هو المبدع المازج ، وعلى ذلك يكون للعالم قوه الهية في المدبره لجميع ما في العالم.

من كل ما سبق يمكننا أن نقول أن عقيدة التوحيد لم تنب عن الفكر الديني أبدا حتى فسي
زمن التشنيه والمجوسيه ، وانها اخذت تتبلور في الديانه الزرد شتيه ، وصارت تلح الحاحا
قويا على الظهور والسيادة على الفكر والاعتقاد ، وان لم تظهر بوضوح كما ظهرت في الديانات
السماويه حيث الوحي والامر بعباده الله ولا تشرك معه غيره.

قال الله تعالى " لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره " (٢)
وقال هود لقومه " اعبدوا الله مالكم من اله غيره " (٣)
وقال صالح لقومه " اعبدوا الله مالكم من اله غيره " (٤)

(١) الشهرستاني ج٢ ص ٧٨ انظر AC. Bou Quet: Corparative Religion p-78

(٢) الاعراف : ٥٩

(٣) هود : ٥٠

(٤) هود : ٦١

وقال شعيب لقومه " اعيدوا الله مالكم من اله غيره " (١)

وقال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم " وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه
انه لا اله الا أنا فاعبدون " (٢)

فمنذ نوح عليه السلام ابي الأنبياء الى محمد صلى الله عليه وسلم وخاتمهم والدعوة
لعبادة الله وحده وعدم الشرك به هو القول الحق المريح الذي يخاطب الله به العقل والقلب
والوجدان بصورة تؤكد الوجدانية الخالصة ، والتنزيه المطلق لذاته عن المشابه والمماثلة ،
الامر الذي يحقق التوحيد والتفرد التام لله رب العالمين .

وكانت مهمة الأنبياء جميعا والرسل كلهم هي بيان هذا التوحيد والدعوة له ولم يأت
نبي أو رسول بغير هذه الدعوة أو بخلافها ، ولذا كان التوحيد هو الاصل الثابت لكل شريعة
ودين قال الله تعالى " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي أوحينا اليك ما وصىنا
به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ، ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما ندعهم
اليه " (٣) وقال الرسول عليه الصلاة والسلام " انا معشر الأنبياء ديننا واحد " (٤) فالدين
واحد ، وحقيقة الدعوة واحدة ، لانها جاءت من اله واحد ، فكيف يمكن أن يكون هناك خلاف
أو اختلاف ، يقول الامام ابن تيمية في هذا الصدد " دين الانبياء واحد وان تنوعت شرائعهم
كما في الصحيحين عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى " يا أيها الرسل كلوا من
الطيبات واعملوا صالحا ، اني بما تعملون عليم ، وان هذه امتكم امة واحدة ، وأنا ربكم
فاتقون " (٥)

(١) هود : ٨٤

(٢) الانبياء : ٢٥

(٣) الشورى : ١٣

(٤) صحيح البخارى ج ٤ ص ٢٠٣ طبعه الشعب

(٥) المؤمنون : ٥١ - ٥٢

فجميع الرسل كانت دعوتهم التوحيد أو الاعتقاد في اله واحد لا شريك ولا شبه له ولا مثيل،
 لا اله الا هو. (١) والخضوع والتسليم لأمره ، والاستعانة به وحده ، وتنزيهه عما لا يليق بذاته
 ومن حاد عن ذلك فقد خسر نفسه وكان من الظالمين ، وفارق الاسلام والمسلمين قال
 الله تعالى " ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه في الدنيا
 وانه في الآخرة لمن المالحين ، اذ قال له ربه أسلم ، قال أسلمت لرب العالمين ، ووصى
 بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين ، فلا تموتن الا وانتم مسلمون ،
 أم كنتم شهداء ، اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد
 الهك واله ابائك ابراهيم ، واسماعيل ، واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون " (٢) فالتوحيد
 أصل كل دين ، وجوهر العقيدة الايمانية ، وان الانبياء والرسل اجتمعوا على هذه الحقيقة
 وان تباعد زمانهم أو اختلفت أقوامهم الا ان دعوتهم واحدة لعبادة الله لا اله الا هو ، وقد
 شهد الله على الوجدانية لذاته وشهدت الملائكة بذلك ، وكذلك أعجاب العلم الذين
 يعملون عقولهم وينظرون ببصرهم وبصيرتهم في الآفاق والموجودات الدالة على توحيد الله
 وتفردة في ملكه وخلقه قال تعالى " شهد الله انه لا اله الا هو ، والملائكة وأولو العلم قائما
 بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم" (٣)

ان هذه الشهادة من الله انما تعنى انه عز وجل قد أبان عن الحق وأظهر وحدانيته
 للناس جميعا وخلق ما يدل عليها وبرهن على صحتها وان العلماء أدركوا هذه الحقيقة وشهدوا
 على صحتها بالدليل القاطع الذي خاطب الله به العقل ووجه اليه البحر لقوله تعالى " لو كان
 فيهما آله الا الله لفسدتا " (٤) وقال عز وجل " ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله
 اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون" (٥)

H. A. R. GIBB: MOHAMMEDANISM p 53 OXFORD. (١)

(٢) البقرة : ١٣٠ - ١٣٣

(٣) آل عمران: ١٨

(٤) الانبياء : ٢١

(٥) المؤمنون: ٩١

قاله تعالى " يبين بالدليل استحاله وجود اله آخر منه ، ويؤكد امتناعه عن أن يتخذ
ولدا له وذلك لأنه لو كان في الوجود آلهة غيره لفسدت الأرض فعلم كل اله وارادته يختلف عن علم
واراده الا له الآخر ، وهذا التخالف ذاتي ، لأن علم الواجب وارادته لازم لذات من ذاته لا
لأمر خارج عنه ، وكذلك فعل الواجب انما يصدر على حسب علمه وارادته ، فاذا تعددت
الآله تخالفت أفعالهم بتخالف علومهم وارادتهم وهو خلاف يستحيل معه الوفاق ، وكل
واحد بمقتضى وجوب وجوده وما يتبعه من الصفات ، له السلطة على اليجاد في عامة الممكنات
فكل له التصرف في كل منهما على حسب علمه وارادته ، ولا مرجح لنفاذ احدي القدرتين
دون الأخرى فتضارب أفعالهم حسب التضارب في علومهم وارادتهم فيفسد الكون ، بل
يستحيل أن يكون له نظام .

ولكن الفساد ممتنع وجودا ، والحاصل النظام والاتقان في بديع صنع الله ، فدل ذلك
على توحيد الله وتفردة في ملكه سبحانه لا شريك له يقول الامام الغزالي " ان هذه الآيه لا أبين
منها في برهان التوحيد وانه لا مزيد على بيان القرآن الذي ينبه العقول ، ويوقظ القلوب
الفغلة عن ادراك حقيقة التوحيد ، وتصديق ما يشهد به الواقع وما يقره العقل من استحالة
وجود اكثر من اله واحد .

اذن البرهان العقلي والعقلي يثبتان وحدانية الله الخالصة وتنزيهه التام عن الشريك
والند والضد بل وعن صاحبة والولد .

والرسالات السماوية بنصوصها الاصلية دليل واضح على اثبات الوحدانية لله رب
العالمين ، فاليهودية والمسيحية والاسلام تتفق على هذه الحقيقة ونصوص التوراه^(١) والانجيل
والقرآن تشهد على التوحيد .

لقد أكد الفيلسوف اليهودي ابن كمونة عقيدة التوحيد لدى أنبياء اليهود جميعاً بقوله " وجميع ما وصاهم الله به على لسان رسوله الأمين موسى صلوات الله عليه هو اعتقاد التوحيد ، وترك عبادة الاصنام ، وان لا يشركوا بالله شيئاً ، وان ينزهوه عن الشبيه والنظير والمعين والمشير وأن يعبدوه وحده ويحيوه ، بكل قلوبهم وأنفسهم وجهدهم ويخافوه ويستعينوا به ويتوكلوا عليه ، وان يعتقدوا انه العالم الذي لا يعزب عن علمه شيء ، والقادر على كل شيء ، والخالق لكل شيء ، وانه هو الذي يميت ويحيى ويمرض ، ويشفي ولا منجى من قدرته ، وانه الأول والآخر لا اله آخر سواه ، وأمرهم بمكارم الأخلاق" (١)

فمقيدة اليهود تعلن عن نفسها بقول موسى عليه السلام " الرب هو الاله ليس آخر سواه" (٢) وقوله " الرب هو الاله في السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل ، وليس سواه" (٣)

وتذكر التوراه في الاصحاح السادس من سفر التثنية أيضاً ما نصه " اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد ، فتحب الرب الهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ومن كل قوتك ، ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوميك بها اليوم على قلبك وقصها على أولادك ، وتكلم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق ، وحين تنام ، وحين تقوم وأربطها علامه على يدك" (٤)

وتتوالى النصوص الكثيرة على لسان أنبياء اليهود لتشهد لهذه الحقيقة فيقول داود عليه السلام " يارب لا اله غيرك ، حسب كل ما سمعناه بأذننا" (٥) وقال أشعيا " أنت هو الاله وحدك لكل ممالك الأرض " وقال نحميا " أنت هو الرب وحدك" (٦)

(١) ابن كمونة : تنقيح الاحباب في الملل الثلاث ص ٢٦ - ٢٧

(٢) سفر التثنية : ٤ ص ٢٥

(٣) التثنية : ٢٩ ص ٤

(٤) الموضوع السابق

(٥) الاخبار الاول ١٧ ص ٥

(٦) نح : ٩ ص ٢

وفى سفر الخروج نجد النص واضحا صريحا عن توحيد الاله وتفردده بذاته

فى قوله " أنا الرب الهك لا يكن لك آلهة أخرى أمامى " (١)

وفى سفر الزبور " من هو اله غير الرب " (٢)

وكذلك جاء فى سفر الملوك الأول " ليعلم كل شعوب الارض ، ان الرب هو اله وليس آخر " (٣)

وفى سفر الملوك الثانى " أنت هو اله وحدك ، لكل ممالك الأرض " (٤)

وقد أعلن الله عقيدته التوحيد بنفسه فقال عن ذاته " أنا الأول وأنا الآخر " (٥)

وقال كذلك " أنا الرب ، وليس آخر ، لا اله سواى " (٦)

نجميع هذه النصوص الواضحة الصريحة من التوراه انما تتفق على حقيقة واحده وهى ان الله

واحد لا شريك له فى الملك ولا تد له ولا ضد بل ولا شبيهه له ولا مثيل ، وليس معه غيره ،

أخبرنا بذلك أنبياء اليهود وأخبارهم وأتيتوا ما أعلن الله عنه من انه واحد لا يوجد معه

آخر أعلى منه ولا اله ثالث أدنى منه ، وهو فى علاه لا يتغير ولا يتبدل ، ولا ينتقل من حال

أو من توحيد الى تثليث ، ولا يجوز عليه المماثله أو المشابهه فهو لا يشبه أحدا من مخلوقاته

ولا يماثله أحد فى صفاته ، يورد أشعيا قول الله تعالى فى هذا الصدد فىقول " انى انا الله

وليس غيرى اله وليس لى شبه " (٧)

ولذلك يغضب الله من الذين يشبهونه أو يماثلونه فىقول فى هذا " بمن تشبهوننى وتساووننى

لنتشابه " (٨)

(١) خروج : ٢٠ ص

(٢) مز : ١٨ ص ٢١

(٣) أمل : ١ ص ١٦

(٤) أمل : ٢ ص ١٩

(٥) اش : ٤٤ ص ٦

(٦) اش : ٤٥ ص ٦

(٧) اشعيا : ٤٠ ص ١٨

(٨) اشعيا : ٤٦ ص ٤٥

ان هذا التساؤل من الله تعالى انما يفيد استنكار التشبيه، واستحاله أن يكون هناك
مثيل لله تعالى الخالق القادر العائم له وحده صفات الكمال والجلال والتفرد وعدم المماثلة
أو المشابهة . أما الآيات المتشابهات في التوراه والتي شبت الله بخلقه وأضافت لذاته
الصفات البشريه كالنزول والتجلى والكلام والغضب والظهور والأتيان والغيره والتمشى
في الجنه الى غير ذلك من صفات التشبيه والتمثيل فمرجعها الى واقعة تجلى الله لموسى
على الجبل وكلامه له ، على الرغم من أن التوراه نفسها تصرح أن هذا التجلى والكلام كان
بغير مشاهده أو عيان وتذكر النصوص استحاله رؤيه الله فتقول " فكلمكم الرب من جوف
النار فسمعتم صوت كلامه ، ولم تروا الشبه البتة " (١)
وتحذر النصوص كذلك من وهم تصور الله فتقول " انكم لم تروا شبيها يوم كلمكم الرب فمسي
جوريب من جوف النار " (٢)

وحين تتحدث التوراه عن تجلى الله لموسى وسطلهيب النار ومخاطبة الله لنبيه
تقرر أن موسى طلب من الله أن يكشف نفسه له ، ولكن الله خاطبه قائلا لاتقدر أن ترى وجهي
لأن الانمان لايرانى ويعيش وتذكر التوراه في الاصحاح السادس عشر من سفر الخروج ان الله
حين تجلى لموسى على الجبل ارتعد الجبل من خشيه الله .

وقد أورد القرآن الكريم أيضا خبر التجلى هذا بقوله تعالى " ولما جاء موسى لميقاتنا
وكلمه ربه قال رب أرني أنظر اليك ، قال لن ترانى ، ولكن أنظر الى الجبل فان استقر
مكانه فوف ترانى ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ، فلما أفاق
قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين " (٣)

(١) التثنيه : ٤ ص ١٢

(٢) التثنيه : ٤ ص ١٥

(٣) الاعراف : ١٤٣

فالتوراه والقرآن يشبتان واقعة التجلى وتؤكدان استحاله رؤيه الله . فما دام النبى موسى عليه السلام لم يتمكن من رؤيه الله فبالتالى يستحيل على البشر رؤيته أو مشاهدته أو وصفه بمفاتي تماثل صفات البشر فمن أين جاء اذن التشبيه الذى ملأت به اليهود كتبهم ، علما بان التوراه صرحت بنفى المثل عن الله فى أكثر من آيه ^(١) وان النهى عن التشبيه مذكور فى عدة مواضع من التوراه كأساس للتوحيد ، وان ثانى الكلمات العشر المكتوبه على اللوحين هو النهى عن اتخاذ اله دون الله ، وعن الاثراك به أو التمثيل أو التشبيه ، وحذرهم من اعتقاده . ولذلك نجد أبا الحسن السامرى وهو من اليهود السامريين يقول أن اليهود " يعبدون الها لبرى ولا يكيف بكيفيه " ^(٢)

وكذلك نجد كثيرا من مفكرى اليهود يصنعون كتباً تحذر من خطوره التشبيه على العقيدة ، وتؤكد عدم التماثل والتشابه بين الله وخلقه ونحاول أن نفسر الآيات المتشابهات التى تذكر فى التوراه أن لله تعالى وجها وعينين وأعضاء مثل أعضاء الانسان على أنها مجاز لأعضاء حقيقية .

والآيات التى تذكر ان الله تعالى ظهر لبعض الناس ظهورا شخصيا وتكلم معهم فينكروها ويمرحون بأنها قد وضعت وحرفت بفعل الكتبة الذين كتبوا التوراه الحاليه فغيروا التوراه الأصلية .

وقد أثبت ابن حزم فى كتابه السغل فى الملل والاهواء والنحل هذا الوضع والتحريف من خلال فحصه لنصوص التوراه ويبين أن هذه التوراه الحاليه كتبت بعد موسى عليه السلام بحوالى أربع مائه وخمسين عاما كتبها عزرا الوراق بدليل نصها " لم يعرف قبره آدمى الى اليوم " فيعلق على هذا النص ابن حزم بقوله " ان هذا بيان كاف على ان التوراه وضعت وحرفت وانه تاريخ الف بعد دهر طويل ولا بد ... " ^(٣)

(١) اسينوازا : رساله فى اللاهوت والسياسة ص ١٢٧

(٢) ابو الفتح السامرى : التاريخ مما تقدم عن الأبيات ص ١٠٢

(٣) ابن حزم : ح ٢ ص ٢٨٤ - ٢٨٥

وقد سبق ابن حزم بنقده لنصوص التوراه سبينوزا باكثر من ستة قرون الذي فحوص نصوص التوراه الحاليه أيضا وسندها وأثبت ان التوراه الاصلية ليست هي هذه الاسفار الحاليه فقال " ان احدا لا يستطيع ان يؤكد ان موسى هو مؤلف الاسفار الخمسة ، بل على العكس يكذب العقل هذه النسبه ، وذلك لان الاسفار الخمسة اشارت الى وقائع لم تحدث الا بعد موسى عليه السلام يقينا وقد جعلته الاسفار شريكا في صنعها ، وان توراه موسى الحقيقيه كانت بنص الاسفار الحاليه أصغر حجبا بكثير من هذه الاسفار الخمسة بالاضافه ان السبب صياغتها يجزم بان موسى لم يكن واضعها ومن ذلك أيضا طريقة اسناد الضمائر والتعليق على النص ، وينتهي سبينوزا الى ان الذي كتبها شخص آخر عاش بعد موسى بقرون عديدة. (١) ولا يقطع اسبينوزا ان الذي كتبها هو عزرا وان كان يرجح ذلك (٢) وكذلك اثبتت الدراسات التي قام بها الدكتور حجازى السقا فى كتابه نقد التوراه ان التوراه المتداوله بيد اليهود والنصارى ، قد كتبها علماء بنى اسرائيل فى بابل ، ليست هي التي تركها موسى كما يدعى أهل الكتاب (٣) يقول الدكتور السقا وشهادتنا بتحريف التوراه ليست قائمة على انكار كل ما فيها . وانما هي قائمة على انهم حذفوا بعض التعاليم ، وأعادوا البعض ، وأضافوا عليه جديدا قال تعالى " ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب " (٤)

والقرآن على التوراه حكم عدل وشاهد امين قال تعالى " وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ، وصهيمنا عليه " (٥) فالوضع والتحريف ثابت على نصوص التوراه لما فيها من تغير وتبديل وتشبيه وتمثيل لا يتفق مع جلال الله ووحدانيته وتفردته وتنزيهه عن مشابهه البشر .

(١) اسبينوزا : الرسالة ص ٢٢١

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٢ - ٢٢٨

(٣) احمد حجازى السقا : نقد التوراه ص ١١

(٤) آل عمران : ٢٣

(٥) المائدة : ٤٨

وقد أبان السيد المسيح عن عبث اليهود بتواترهم وانهم استبدلوا بأمر تقليدية فيذكر انجيل مرقس قوله " انكم تركتم وصية الله وتمسكتم بتقليد الناس ، وبوضوح حقيقة التبديل والتحريف فيقول " أنتم أبطلتم كلام الله بتقليدكم الذى سلحتموه " (١) ويؤكد ذلك فى انجيل متى فيقول لليهود " أنتم تظنون اذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله " (٢)

فالمسيح عليه السلام يبين ما أصاب التوراه من تحريف وتبديل بصورة بعيدة عن الحق بوصفهم الله بصفات مادية جسميه وتشبيهاهم التى تنفر منها القلوب وتستكرها العقول بل تؤكد استحالتها كقولهم ان يعقوب صارع الله ، والله صارع يعقوب ، وكانت النلبة فى المصارعة ليعقوب.

ان هذا النص بهذه الصورة لا يمكن تصديقه. أو الاعتراف بانه من نصوص التوراه الأصلية فمن المستحيل ان يمارع يعقوب الانسان الله الخالق القادر الذى خلق يعقوب وغيره من البشر فكيف يمكن قبول ذلك النص ، ان هذا النص لا يمكن قبوله أو تصديقه ، ولذلك هو دليل صدق على مدى التحريف والتفسير الذى أدخل على النصوص الاصلية ، والتحريف والتبديل وقع لا محالة ، وقد اشار القرآن الكريم لواقعة التحريف والتبديل بقوله تعالى عن اليهود " ومن الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه " (٣)

(٤) وقد شهد شاهد منهم على واقعة التحريف والتبديل ذلك هو السموأل الحبر اليهودى الذى أسلم وألف كتابه " بذل المجهود فى افحام اليهود " نقد فيه التوراه الحالية وأبان عن تبديل اليهود لنصوص التوراه الاصلية وأوضح ان اليهود كذبوا على الله وحرفوا

(١) مرقس اصحاح ٧ عدد ٨

(٢) متى اصحاح ٢٢ عدد ٢٩

(٣) النساء : ٤٦

(٤) هو شموئيل بن يهوذا المتوفى سنة ٥٠٥ هـ الذى كان يهوديا ثم اسلم وسمى نفسه بعد اسلامه السموأل بن يحيى

التوراه بالزيادة والنقصان ، وان التوراه الموجوده الآن ليست التوراه الحقيقية المنزله على موسى ، لما فيها من منالطات وتشبيحات لا تتفق مع الذات الالهيه . وينسبها الى عزرا قال " فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكليها وزالت دولتهم ، وتفرق جمعهم ، ورفع كتابهم ، جمع من محفوظاته ، ومن النصوص التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراه التي في أيديهم ، ولذلك بالغوا في تعظيم عزرا هذا غاية المبالغة ، وزعموا ان كتابا يحفظ لهم دينهم . فهذه التوراه التي في أيديهم على الحقيقة كتاب عزرا وليست كتاب الله ، وهذا يدل على انه - أعنى الذي جمع هذه الفصول التي بأيديهم - رجل فارغ جاهل بالصفات الالهيه ، فلذلك نسب الى الله تعالى صفات التجسيم والندم على ما مضى من أفعاله" (١)

ولذلك قال ابن كمونه " يجب ان يكون الامل فيما يتسبب النبي الحقيقي أن يبصر الناس ان لهم صنعا واحدا حيا قادرا ، لاشريك له في ملكه ولا شبيهه ولا نظيره" (٢) ، فابن كمونيه الفيلسوف اليهودي يرفض ان ينسب الى الله تشبيحات لا تتماشى مع مفهومة الوجدانية والتنزيه المطلق لذاته .

وكذلك نحن نحصي رحمه الله الهندي في كتابه اظهار الحق سندا لتوراه ، وقطع بانسه لاسند لكون هذه التوراه المنسوبه الى موسى عليه السلام من تمنيفه ، ومن ثم فان التوراه الحالية هي كتاب موضوع منحول ، وليست حيا منزلا ، ونسبتها الى موسى عليه السلام باطل وزور" (٣) وفي الواقع ان فحص رحمه الله لسند التوراه قد لخص لنا حجج السابقين من علماء المسلمين واليهود والنصارى لنقد التوراه امثال ابن حزم ، والجويني ، والسموأل والقرطبيسي ، وسبيشوزا ، وهورن ، وهارس وآدم كلارك وغيرهم (٤)

(١) سموأل : بذل المجهود في افحام اليهود ص ٤٤

(٢) ابن كمونه : تنقيح الابحاث ص ٢٣

(٣) رحمه الله : اظهار الحق حا ص ١٠٢

(٤) د . محمد عبد الله الشرقاوي : في مقارنة الاديان بحوث ودراسات ص ١٢١ - ١٣٦ .

وفي العصر الحديث أثبتت دراسات موريس بوكاي لنصوص التوراه في ضوء العلم الحديث التحريف والتبديل لعدم توافق النص مع العلم وذلك في كتابة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ! من ذلك كله نستطيع ان نتبين مدى التحريف والتبديل لنصوص التوراه الاصلية وان التوراه الحالية تغيرت كثيرا عن الاصل الذي يشهد بالتوحيد الخالص لله تعالى والتثنيه المطلق لذاته عن المشابهه أو المماثله .

ولهذا حرص المسيح عليه السلام على تصحيح ما أصاب عقيدة اليهود من اضطراب، وما أصاب نصوصها من تحريف وتبديل وكذلك على تفسير ما اختلف حوله الربانيين والاحبار ، وعلى تخليص الدين من بدع وأوهام المنافلين يقول يسوع المسيح : أتظنون أني بعثت لأبطل الشريعة والانبياء ، الحق اقول لكم : لعمري اني لم آت لأبطلها ، ولكن لأحفظها " (١)

ويذكر انجيل متى عن لسان المسيح قوله : لاتظنوا اني جئت لأنقض الناموس أو الانبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل ، فاني الحق اقول لكم الى ان تزول السماء والارض ، لا يزول حرف واحد أو نقطة من الناموس حتى يكرن الكل " (٢)

اذ رسالة المسيح لم تخرج في حقيقتها ولم تختلف في جوهرها عن كافة الرسالات من انها تدعو لعبادة الله وحده وعدم الشرك به واحدا ، يؤكد ذلك انجيل مرقس عن لسان المسيح " اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد " (٣)

(١) برنابا : ٢٨ : ٢-٢

(٢) متى : ١٧ / ١٨

(٣) مرقس : ١٧ / ١٨

ويقول الاصحاح السابع عشر من انجيل يوحنا عن لسان المسيح " هذه هي الحياه الابديه
أن يعرفوك انث الاله الحقيقي وحدك ويسوع الذي ارسلته . "

هكذا بدأت دعوة المسيح عليه السلام بتأكيد التوحيد ، واثباته كأمل للعقيدة ، وانه
رسول من عند الله ليبلغ هذه الدعوة التي دعا اليها الانبياء قبله ، وقد سأله اليهود عممن
يشهد له بما يقول ؟ فقال الرب الذي أرسله هو الذي يشهد له (١)

ويقول القديس بولس في رسالته الى صديقه بتماشاوس " انه يوجد اله واحد وسيط واحد
بين الله والناس الانسان يسوع المسيح " (٢) ويؤكد القديس بولس الوجدانية بقوله في رسالته
الى أهل روميه أن الله واحد وفي رسالته الى اهل غلاطية " ولكن الله واحد " (٣)

ويورد الاصحاح الخامس من انجيل يوحنا قول السيد المسيح عليه السلام معنا قومه
اليهود على عدم ايمانهم بالله الواحد بقوله كيف تقدر ان تؤمنوا ، وأنتم تقبلون مجدا
بعضكم من بعض ، والمجد الذي من الاله الواحد لستم تطلبونه " (٤)
ويذكر يعقوب الحواري ضرورة الايمان بوحدانية الله بقوله : أنت تؤمن أن الله واحد حنا
تفعل " (٥)

فالوجدانية هي اصل كل دين وهي مفتاح دعوة جميع المرسلين والوصية التي يوصي المسيح
بالتمسك بها .

يحدثنا القديس مرقس في انجيله انه بينما كان السيد المسيح جالما مع تلاميذه وحوارييه
يشرح لهم تعاليم الله آتاه احد الناس يسأله : أية وصية هي أول الكل .

(١) يوحنا : ٢/١٧ : مرقس : ٢٩/١٢

(٢) أمى : ٥/٢

(٣) رو : ٢٠/٣

(٤) عيل : ٢٠/٣

(٥) يعقوب : ١٩/٢

فأجابه المسيح : ان اول كل الوصايا هي اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد ، وتحب الرب الهك من كل نفسك ، ومن كل فكرك ومن كل قدرتك ، هذه هي الوصيه الاولى .
ويستحسن الرجل قول السيد المسيح ، ويتيقن بها من صدق نبوته ، فيرد عليه قائلا " جيدا يا معلم بالحق قلت ان الله واحد ، ليس آخر سواه ^(١) ونفس الوصيه يوردها انجيل متى ولوقا ، وفيها يقرر السيد المسيح ان اول كل الوصايا ، ولباب الدين من أساسه هو توحيد الله وعبادته سبحانه وحده بكل قوانا وقدراتنا . ومن كل فكرنا وعمق قلوبنا .
وحين يسمع السائل ذلك يطمئن الى صدق السيد المسيح ، ويؤمن حقيقة رسالته ، ويتأكد انه نبي مرسل من قبل الله الواحد الذي يدعو اليه كافة الانبياء ، وجميع العقلاء .

ويذكر القديس متى في انجيله انه بينما كان السيد المسيح يسير في الطريق ، فاذا بواحد يتقدم اليه ويقول له : ايها المعلم الصالح اى صلاح اعمل لتكون لى الحياه الابديه : فقال له " لماذا تدعونى صالحا ، ليس احد صالحا الا واحد هو الله ، ولكن اذا أردت ان تدخل الحياه الابديه فاحفظ الوصايا " ^(٢)

ونجد هذه الأقوال مسطوره أيضا في الأمحاح العاشر من انجيل مرقس اذ يقول " ان احد الاشخاص تقدم يسأل السيد المسيح طالبا منه ان يرشده الى الاعمال الخيره ، التى تؤدى به الى دخول الجنه ، وقبل أن يبدأ الرجل سؤاله ، يخاطب السيد المسيح فى احترام وتقدير ويقول له " ايها المعلم الصالح ، ولكن السيد المسيح الايمان بدلا من أن تسره هذه التحية ، ووصفه بالصلاح فانه يثور وينضب رافضا بشده أن ينسب اليه الملاح أو أن تخلع عليه صفه من صفات الله لأنه بشر غير معصوم ، لذلك فانه لا يمكن ان يكون دائما صالحا ، ولكن الملاح لله وحده ، المختص بكل صفات الملاح والكمال لا يشاركه فيها أحد ولا يماثله أو يشبهه فيها غيره .

(١) مرقس : ٢٩ ص ١٢

(٢) متى ١٧ ص ٢

اذن الوجدانية ثابتة وواضحة في عقيدة النمارى الاصليه بشهاده رسولها عيسى عليه السلام ، وكلام المسيح عن الله الواحد الذى لا اله غيره ولا شريك له فى ملكه ولا شبهه له فى صفاته .

وقد اجمعت النصوص الاصليه على هذه الحقيقه التى هى جوهر كل دين ولكن ما يذهب اليه النمارى اليوم من اعتقاد هو ما وضعه لهم بيطر (شمعون الصفا) ^(١) اذ قال " نؤمن بالله الواحد الاب ، مالك كل شئ ، صانع ما يرى ، وما لا يرى : نؤمن بالرب المسيح ابن الله الواحد ، بكر الخلائق كلها ، ولد من ابيه قبل العوالم كلها ، ليس بممنوع ، اله حق من جوهر ابيه الذى بيده اتقنت العوالم كلها ، وهو خالق كل شئ من اجلنا معشر الناس ، ومن اجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسد من روح القدس ، وصار انسانا حملت به مريم وولد من مريم البتول فأوجع وأولم وصلب ، ودفن ، وقام فى اليوم الثالث من بين الموتى مثل ما كتب بذلك الانبياء (وهذا اختلاق وتلفيق لم يقل به نبي من الانبياء) ثم صعد الى السماء ، وجلس عن يمين ابيه وهو مستعد للمجيء ، تاره آخرى للقضاء بين اصوات والاحياء ، ونؤمن بالروح القدس الذى يخرج من الاب والابن وبه كان يتكلم الانبياء . ان هذه النصوص التى وضعها بيطر بتصريف وتحريف انما ينقض بعضها بعضا وتخالف الحقيقه الثابته للوجدانية الاصيلة فى عقيدة النمارى ، فاول النص يؤكد ان الله الواحد الاب مالك كل شئ ، صانع ما يرى وما لا يرى ، ثم يتبعه بقوله الرب الواحد المسيح اله حق من جوهر ابيه ، فأول النص فيه شهاده بأنه واحد ثم يليه الشهاده عليه تعالى بان له ولدا ، هو اله مثله ، وانه من جوهره ، وهذا فى غاية الكفر والشرك والفساد وفى غاية الضد والتناقض لوجدانية الله الواحد الاحد لا شريك له ولا ولد .

(١) ينسب الى شمعون الصفا رسالتان من الرسائل الكاثوليكية ، ويذكر بعض المؤرخين انه ألف انجيلا ونسبه الى مرقس انظر تاريخ الامه القبطية ج٢ ص ٥٦ ، قاموس الكتاب المقدس ص ١٢٤

اما قوله ان الله خالق كل شيء فقد تبعه بقوله ونؤمن بان المسيح خالق الاشياء كلها
الذى بيده أتقنت ، وأثبت ان مع الله لها ، خالقا لكل شيء . وهذا تناقض واضح

وكذلك قوله ان الله تعالى صانع ما يرى وما لا يرى فدخل فيه المسيح ، لانه بالضرورة
مما يرى ، ثم اعقب ذلك قوله المسيح خالق كل شيء ، لانه غير ممنوع وهذا تناقض وتخليط
لا يقبله عقل ولا منطق سليم لانهم لو نظروا بعقولهم لأدركوا التناقض فى اقوالهم عن المسيح
من انه ولد قبل العوالم ، وهو بكر الخلائق كلها . فهل خلق كل شيء قبل ميلاده ، وهو
عدم ؟ أم بعد ميلاده وهو صبي رضيع ؟
ومن كان يدبر السموات والارض ومن فيهما قبل ميلاده وايجاهه ؟ وكيف يكون بكر الخلائق
وهو الخالق لجميعها .

ان هذه الاقوال جميعها فى غاية التناقض والفساد . لا يقبلها من له عقل ودين ، وبيان
تحريفها واضح وزيفها أكيد بالأضافة الى اقوالهم ان المسيح اله حق من جوهر أبيه ثم
زادوا فقالوا انه نزل من السماء فتجد فى بطن امه . فكيف يمكن ان يتجدد من ليس بجسد
تعالى الله عن قول الظالمين .
فاله خالق الجواهر والاجسام وليس بذى جسم ولا جوهر ، فكيف يكون هو المسيح أو أن
يتجزأ ليستقر جزء منه فى بطن امه مريم يختلط بدنها .

ان النصوص الاصلية من الانجيل تبطل هذه المزاعم كلها ، وتثبت فسادها اذ يصرح
لوقا فى الفصل الرابع من قصص الحواريين ، ان الله خالق العوالم بجميع ما فيها ، وهو
رب السموات والارض ، ولا يسكن الهياكل التى طبعها الابدى ، ولا يحتاج الى شيء ممن
الاشياء ، لانه هو الذى اعطى الناس الهياكل والنفوس ، وجميع ما هم فيه من وجودنا به
وحياتنا منه .

فهذا النص انما يبين ان الله خالق كل شيء ، اله متعال عن البشر جميعا وان عيسى نبي
الله مخلوق له كائنات المخلوقات .

أما قولهم في المسيح انه اله من جوهر ابيه ، واله مثله ، انما يقتضى هذا القول العمائلة
ولايد ، واننا نتساءل اذ كان هذا التماثل حقا فما الذى جعل احدهما أبا والآخر ابنا ،
وما الذى خص هذا بالأبوة وهذا بالبنوة دون تعاكس .

ان جميع هذه الاقوال تحمل فسادا وبطلانها في ذاتها ، وهى أيضا مردوده بقول
أناجيلهم في بشرية المسيح حيث يذكر متى في الفصل التاسع من انجيله ان رجلا قال للمسيح
يا أيها الخير ، فقال عيسى : لم سميتنى خيرا ، ان الخير هو الله تعالى .
ان هذا القول من عيسى عليه السلام يدل دلالة قاطعة على ان عيسى ليس هو الله ، وان الله
هو وحده الذى يسمى خيرا .

وأيضا ما ذكره . متى في الفصل الثالث عشر من انجيله " ان عيسى عليه السلام لما انتقل
الى المدينة التى ولد بها استخف الناس به فقال : لا يستخف بنبى الا فى مدينته .
فهذا القول يثبت بلاشك ان عيسى نبي وانه مثل غيره من الانبياء بشرا يعيش وينتقل فى المدن
فهو ليس باله ولا ابن اله .

ويتناقض شمعون المفا نفسه فى اقواله حينما يذكر ان اليهود رفضوا التصديق بنبووة
عيسى فقال لهم : يا رجال بنى اسرائيل استمعوا مقالتي ان المسيح هو رجل ظهر لكم
من عند الله بالقوه والتأييد والمعجزات التى أجزاها الله تعالى على يديه وانتم كفرتم به .

ان هذا النص من شمعون يناقض ما زعمه من ألوهية عيسى ويشهد بان عيسى رجل
من جملة آدميين . وانه نبي من الانبياء المرسلين الذين ايدهم الله بالمعجزات ، وأن كل

ما جرى منها على يديه انما هو بقدره الله تعالى وقوته وليس للمسيح فيها سوى الكسب
فان هذا الحق الواضح من ظلمة الجهل الباطل الذي زعمه شمعون الصفا في قوله بألوهية
عيسى النبى أو ان اللاهوت لما التحم بناسوت عيسى وهو جسده ، صار عيسى الها
تاما غير مخلوق .

يقول لوقا في انجيله ان عيسى بعد ما قام من قبره لقيه رجلان من تلاميذه وهما القلوباس
ولوقا ، فقال لهما : مالكما حزينا ؟ فقالا له : كأنك غريب وحدك في مدينة القدس
لم تعرف ماجرى فيها في هذه الايام من أمر المسيح الذى كان رجلا ممدقا من الله في مقاله
وأفعاله وعند الناس .

ان هذه الشهادة من تلميذ السيد المسيح عليه السلام تؤكد انه رجل مصدق من الله ، اذن
فليس هو بخالق ولا اله ولا ابن اله .

وبرهان آخر على ان عيسى ليس هو الله ولا ابن الله قول مرقس في انجيله في الفصل الثالث
عشر " ان الحواريين سألوا عيسى عن الساعة أى القيامة فقال لهم : ان ذلك اليوم لا تعلمه
الملائكة الذين في السماء ، ولا يعلمه الا الآب وحده يعنى الله .
ان هذا النص انما يدل على ان الله تعالى منفرد بعلم الساعة وحده ان وعيسى لا يعلمها ،
وذلك دليل على ان الله ليس هو عيسى وان عيسى رسول من عند الله لا يعلم الا ما علمه الله
تعالى فهو اذن ليس باله ولا ابن اله .

ويذكر كذلك يوحنا في الفصل السابع عشر من انجيله ان المسيح رفع عينيه الى السماء
وتضرع الى الله الواحد الخالق ، وقال : يجب على الناس ان يعلموا انك انت الله الواحد
الخالق وانك أرسلتني " ان هذا القول من المسيح انما هو اعتراف صريح بانته رسول من عند
الله وليس هو باله .

وكذلك ذكر متى في الفصل الرابع من انجيله ان الشيطان دعا المسيح الى أن يجد له
وأراه مهالك الدنيا وزخرفتها ، وقال له : اسجد لي ، نجعل لك هذا كله ، فقال المسيح
انه مكتوب على كل بشر انه لا يعبد الا الله تعالى ولا يسجد لشيء سواه .
ان هذا القول انما يدل دلاله أكيدة على أن السيد المسيح برقى من الألوهية التي تنسب اليه
وانه لو كان الها لما جرأ الشيطان ان يقول له هذا القول . وفي جواب عيسى المسيح اعتراف
صريح بان الله تعالى هو الاله الذي لا اله الا هو ولا يسجد احد الاله تبارك وتعالى .
فالنص الأول يدل على ان الله هو وحده الخالق لكل شيء ، وهورب السموات والأرض وما بينهما
وهذا هو توحيد الربوبية .
والنص الثاني يبين ان الله وحده المستحق للعبادة ، وهذا توحيد ألوهية كما هو ثابت
في جميع الديانات السماوية .
يقول يوحنا في آخر انجيله ان عيسى قال للحواريين : اني ذاهب الى أبي وأبيكم والهي
والهكم .
وفي انجيل متى في الفصل العاشر ان عيسى عليه السلام قال للحواريين كل من قبلكم وآواكم
فقد قبلني وآوانى ، ومن قبلني وآوانى فانما قبل من أرسلنى .
ويذكر كذلك يوحنا في الفصل الخامس من انجيله ان المسيح قال ما جئت لأعمل بمشيئتي
بل بمشيئة الذي أرسلنى .

ان جميع هذه النصوص انما تؤكد ان الله ليس هو عيسى المسيح ، وان المسيح ليس الها
ولا ابن اله ، انما هو بشر رسول من عند الله ، ارسله لبيان وتأكيد التوحيد دين جميع
الانبياء . ولهذا خاطب الله عيسى بقوله " أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله
قال سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، ان كنت قلتة فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى
ولا أعلم ما فى نفسك ، انك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعيدوا الله

ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد" (١) ان هذه الآيات البينات تؤكد أن أصل العقيدة هو التوحيد ، وان عيسى عليه السلام دعا قومه الى اقرار هذا التوحيد ، وقد آمن بدعوته فى وقته حوالى مائه وعشرين رجلا وأمرأتان ، وانهم كانوا مستترين يدعون الى دينه سرا ، وبقوا على هذه الحالة لا يظهرون مده ثلاثمائة سنة بعد رفع المسيح عليه السلام ، وفى خلال ذلك ذهب الانجيل المنزل من عند الله عز وجل الافصولا يسيره أبغلاما الله تعالى حجه عليهم" (٢) هذا ما ذكره ابن حزم ليبين أصل عقيدة التوحيد لدى النصارى وما حدث لهذه العقيدة من تبديل وتحريف وتخليط حيث خلطوا فى أقوالهم بين الله المعبود وبين المسيح البشر الرسول فزعموا ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا كفر صريح بقول الله تعالى " لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم" (٣) فمستحيل ان يكون الله بشرا أو أن يكون المسيح الها . فهو رسول من عند الله الذى ليس كمثله شيء يقول الله تعالى " ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه مديقه كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظر أنى يؤفكون" (٤) بهذا النص حدد الله تعالى طبيعه المسيح الرسول وبشريته وانسه انسان يأكل كغيره من البشر ، فهو ليس الها ولا ابن اله كما زعموا ، استنادا الى ان المسيح ولد من غير أب ، ولكن هذا الزعم يبطله قول الله تعالى " ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون" (٥) فالمسيح مثل آدم بشر نبي رسول كان خلقه معجزه مثل آدم فاذا كان المسيح ولد من غير أب فآدم خلق من غير أب وأم ، فلماذا تكون الألوهية لعيسى دون آدم .

ان عيسى عليه السلام النبي الرسول يعترف بانه جاء معلما كخائر الرسل . يقول
لتلاميذه لاتسبوا اباكم فى الارض فان اباكم الذى فى السماء وحده ، ولاتدعوا معلمين ، فان

(١) المائدة : ١١٦ ، ١١٧
(٢) ابن حزم : الفصل ٢٢ صه
(٣) المائدة : ١٧ ، ٢٢
(٤) المائدة : ٧٥
(٥) آل عمران : ٥٩

معلمكم المسيح وحده . فهذا القول من عيسى عليه السلام يبين أن الله وحده في السماء حتى وأن المسيح هو المعلم في الأرض وحده ، فهو بهذا النص أيضا ليس لها ولا ابن له ولا هو أحد ثلاثه هي أب وابن وروح قدس الكل شيء ، واحد . ينتقد ابن حزم فكره الثالث فيقول كيف يمكن أن يكون الواحد ثلاثه والثلاثة واحدا ، ان الواحد يخالف الثلاثة ومن زعم غير ذلك فهو خلط وكفر صريح . قال الله تعالى " لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة" (١) ان هذا القول خروج عن التوحيد وتبديل وتخليط وقد أوضح الله تبدلهم وتغيرهم لعقيدته التوحيد بقوله عنهم " ومن الذين قالوا انا نمارى ، أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به " (٢) لقد نسي النصراني أصل التوحيد الذي ذكروا به ولذا جاء الاسلام ، الرسالة الاخيرة والدين التام ، فدخل في حوار مع أهل الأديان الذين زاغوا عن الحق ، وأبتعدوا عن التوحيد فأشركوا وشبهوا وقال لهم قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمه سوا، بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا أنا مسلمون " (٣)

فلاسلام يؤكد دعوته التوحيد الخالص ، والتنزيه المطلق لله رب العالمين فليس هناك اله آخر غيره ، ولا رب سواه . فهو وحده المالك الخالق القادر له الخلق ، وله الأمر كله كما قال سبحانه عن نفسه " آلا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين " (٤) ويدخل في هذا التوحيد الايمان بقدر الله سبحانه : أي الايمان بان كل محدث صادر عن علم الله عز وجل واراادته وقدرته .
فهذا التوحيد معناه الاقرار بان الله هو الفاعل المطلق في الكون بالخلق ، والتدبير ، والتغيير والتسير ، والزيادة والنقص ، والاحياء ، والامانة ، لا يشاركه أحد في فعله سبحانه .

(١) المائدة : ٧٣

(٢) المائدة : ١٣

(٣) آل عمران : ٦٤

(٤) A.C. Bou Quet: Comparative Religion p 201-207
Pelican Books, England.

(٥) الاعراف : ٥٤ .

ولاتكاد تخطو سوره من سور القرآن الكريم من بيان هذا التوحيد ، وتأكيده لأنه الأساس بالنسبة لأنواع التوحيد الاخرى ، توحيد الألوهيه ، وتوحيد الذات والاسماء والصفات ، يقول الله عن توحيد الربوبيه " أمن خلق السموات والأرض ، وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجه ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أأله مع الله بل هو قوم يعدلون، أمن جعل الأرض قرارا ، وجعل خلالها أنهارا ، وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أأله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ، أمن يجيب المطر اذا دعاه ، ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أأله مع الله قليلا ما تذكرون" (١)

ان هذا الاستفهام المتكرر فى الآيات انما يفيد انكار وجود آله أخرى مع الله تشاركه فى الخلق ، فله وحده الخلق والامر ، وهو على كل شى قدير فالله هو الخالق وحده لكسل مظهر من مظاهر الوجود . ثم يبين الله فضل عقيدته التوحيد بقوله تعالى " أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار " (٢)

فأصل العقيدة وجوهر الاعتقاد هو ان الله واحد لا شريك له ولا نند ولا شبه له وقد حكى الله سبحانه وتعالى عن المشركين انهم كانوا يقولون بأن الله وحده هو الخالق لكل شى وظلوا مع ذلك مشركين ، لأنهم لم يوحدوا الله فى ألوهيته ، فعبدوا غيره سبحانه وتسد ذكرهم بقوله تعالى " وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون " (٣) فهؤلاء قد أشركوا فى العباده مع الله آخرين ، وأكثر الذين ظلوا لا ينكرون الخالق وربوبيته على الخلق ، ولكن معظم كفرهم من عبادتهم غير الله عز وجل .

(١) النمل ٦٠ - ٦٢

(٢) يوسف : ٢٩

(٣) يوسف : ١٠٦

وقد أمرنا الله تعالى بعبادته وحده ، لأن العبادة لا تكون لغير الله وهذا هو توحيد الألوهية ، فالله وحده هو المستحق للعبادة والخضوع والاستسلام ، ولاتصح عبادة الله الا بهذه المعانى مكتمله ، لأن توحيد العبودية أى الألوهية متضمن توحيد الربوبية فمن لا يخلق يكون عاجزا والعاجز لا يصلح أن يكون لها قال تعالى " أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون" (١) وقال عز وجل " قل لو كان معه آله كما يقولون اذا لا يتقوا الى ذى العرش سبيلا " (٢)

فالله وحده هو الخالق القادر العالم رب السموات والأرض وهو وحده المستحق للعبادة ، له الاسماء الحمى والصفات الكاملة ، لا يشوبه نقص ، اذ كيف يخلق من كان غير كامل وكيف يعبد من كان ناقما ومن هنا كانت شهاده أن لا اله الا الله متضمنة فى الاسلام جميع أنواع التوحيد ، توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الذات والاسماء والصفات قال تعالى " الله لا اله الا هو الحى القيوم ، لا تأخذه منه لائتوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه ، الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم " (٣)

فهذه الآيات البيّنات جمعت التوحيد كله ، توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية وتوحيد الذات والاسماء والصفات ، فان الذى خلق السموات والأرض هو وحده الحى الذى لا يموت ، القيوم ، العليم ، الحفيظ ، العلى العظيم فهذه هى ذاته وأسمائه وصفاته . أما الذين يقرّون بان الله رب كل شئ ، ولا يوحدونه فى ألوهيته فيشركون معه غيره فى عبادته ، ولا يوحدونه فى اسمائه وصفاته فيعطلونها أو يشبهونها بصفات المخلوقين ، أو يؤولونها

(١) النحل : ١٧

(٢) الاسراء : ٤٢

(٣) البقره : ٢٥٥

تأويلات فاسده لوجه لها تخرجهم عن التوحيد الخالص والتنزيه المطلق فقد ضلوا ضلالا بعيدا ، وأشركوا مع الله الهه أخرى وشبهوه بنيره من المخلوقين • ولذلك كان التوحيد متحققا في قوله تعالى " قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " (١)

لقد أبان الله عن توحده في ذاته بقوله قل هو الله احد بمعنى لا تركيب ولا تأليف بوجه من الوحدة فيه فلا تثليث بزعمهم أن الثلاثة واحد أو الواحد ثلاثة وهو الصمد اشارة الى كونه تعالى لا شريك له ولا تمد ولا ضد فكل شيء في الوجود يمد اليه ويرجع له فله الخلق والأمر فعال لما يريد •

ولم يلد ولم يولد يعني انه تعالى غير البشر جميعها وخلافهم ولا يجوز عليه ما يجوز على البشر من توالد وتكاثر وتغيير •

ولم يكن له كفوا احد أي لا مثيل ولا شبيه لذاته تعالى •

وقد جاء نفي التشبيه لله مجملا في القرآن الكريم كقوله تعالى " ليس كمثله شيء " (٢)

حتى لا يكون هناك مشابه بين الله وبين البشر بأي صوره من الصور أو صفة من الصفات قال تعالى منزها ذاته عن صفات المخلوقين " سبحان ربك رب العزه عما يصفون " (٣) فالله نزه نفسه عن الصفات التي يصفه بها العباد •

ولذلك انشغل المفكرون المسلمون جميعا يبحث عقيدة التوحيد وبيان مسائل الصفات وأتفق أهل السنه على أن الله تعالى ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله • يقول الامام احمد بن حنبل " لا يوصف الله الا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ، لانتجاوز القرآن والحديث •

(١) الاخلاص : ١ - ٤

(٢) الشورى : ١١

(٣) العافات : ١٨٠

وقال نعيم بن حماد شيخ البخارى "من شبه الله بخلفه كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه ولا تمثيل" (١)

ويجمل الواسطى عقيدة التوحيد عند أهل السنة والجماعة بقوله "ليس كذاته ذات ، ولا كأسمه اسم ، ولا كفعله فعل ، ولا كصفته صفة الا من جهه موافقه اللفظ ، وجلت الذات القديمه ، أن تكون لها صفة حديثه ، كما استحال أن يكون للذات المحدثه صفة قديمه" (٢)

أما المعتزلة فقد ذهبت فى بيان التوحيد الى القول بأن الله واحد ليس كمثلته شئ ، وهو السميع البصير ، ليس بجسم ولا شبح ولا جنه ولا صورة ولا لحم ولا دم ، ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ، ليس بذى أبعاد وأجزاء وجوارح وأعضاء ولا بذى جهات ... ولا حللول . ولا بوصف بشئ ، من صفات الخلق الدالة على حدودهم ولا بوصف بأنه بنتاه ، ولا والد ولا مولود ولا يجوز عليه الفناء ولا يلحقه العجز والنقص تقديس عن ملامسه النساء ، وعن اتخاذ الماحبه والأبناء" (٣)

وقد أوضح ابن تيميه عقيدته التوحيد ومسأله الصفات بقوله " والحقيقة فى صفات الله تعالى مانمه مذهب أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف ان هذه الأحاديث تمر كما جاءت ويؤمن بها ونمدق وتصان ، عن تأويل يفضى الى تعطيل ، وتكييف يفضى الى تمثيل ... وقد قيل انها تجرى على ظاهرها مع نفي الكيفية ، والتشبيه عنها ... وذلك أن الكلام فى المقامات

١ - شرح القارى على صحيح البخارى ص ١٥ .

٢ - تفسير القرطبي : ج ١٦ ص ٩

٣ - القاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ص ٥٥٠ .

فرع على الكلام في الذات ، يحتذى حذوه ، ويتبع فيه مثاله ، فإذا كان
اثبات الذات وجود لا اثبات كيفية ، فكذلك اثبات الصفات اثبات وجود لا اثبات
كيفية . فنقول ان له يدا ومعنا . كما جاء . ولا تقول ان معنى اليد قدره ومعنى
السمع العلم ^(١) كما تقول المعتزله .

فابن تيمية يأخذ بظاهر اللفظ كما جاء في النص دون كيفية أو تشبيه . وقد ذكر
الرازي الحكمة من متشابه الصفات فقال ! ان القرآن يشتمل على دعوة الخواص والعوام
وطبائع العوام تنبو في أكثر الأمور عن ادراك الحقائق فمن سمع من العوام في أول الامر
اثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا م أشار إليه ظن أن هذا عدم ونفى محض فيقع
في التعطيل فكان الافلح أن يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما مايناسب ومما
تخلوه وماتوهموه ، ويكون ذلك مخلوطا بما يدل على الحق الصريح ^(٢)

والحق الصريح هو أن الله واحد أحد ، ليس كمثل شيء ، رب كل شيء ،
وهو المستحق وحده العبادة والخضوع والاستسلام . وهذا هو جوهر الاسلام . أصل كل
الاديان قال تعالى " ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه " ^(٣) .

١ - ابن تيمية : الرسالة المدينة ص ٧

٢ - الرازي : مباحث في علوم القرآن ص ٢٨٤

٣ - آل عمران : ٨٥ .

مراجع البحث

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - كتب التوراه والانجيل فى الكتاب المقدس (ترجمة البروتستانت بمصر سنة ١٩٢٠ م
- ٣ - انجيل برنابا
- ٤ - صحيح البخارى
- ٥ - ابن تيميه : الرسالة المدنية السلفية بمصر سنة ١٣٩٤ هـ
- ٦ - ابن الجوزى : هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى المكتبة الفنية القاهرة سنة ١٣٣٩ هـ
- ٧ - ابن حزم : الفصل فى الملل والاهواء والنحل مطبعة المثنى ببغداد .
- ٨ - ابن كمونه : تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث نشر المستشرق اليهودى موسى يرلمان لـوس
انجلوس سنة ١٩٢١ م
- ٩ - أبو عبدالله محمد القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) .
- ١٠ - أبى عبيده الخروجى : مقامع هامات الملبان نشر د . محمد شامة تحت عنوان بين الاسلام
والمسيحية مكتبة وهبه القاهرة سنة ١٩٢٢ .
- ١١ - أحمد السقا حجازى : الله وصفاته فى اليهودية والنصرانية والاسلام دار النهضة العربية سنة ١٩٨٧
- ١٢ - : نقد التوراه مكتبة الكليات الأزهرية - الأزهر القاهرة سنة ١٩٢٦
- ١٣ - اسبينوزا : رسالة فى اللاهوت والمياسة .
- ١٤ - الجوينى : شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراه والانجيل من تعديل نشر د . أحمد السقا
الرياض سنة ١٤٠٣ هـ
- ١٥ - الشهر ستانى : الملل والنحل على هامش الفصل لابن حرم مطبعة المثنى ببغداد
- ١٦ - الغزالي : الرد الجميل للهيبة عيسى بمريخ الانجيل تحقيق د . محمد عبدالله الشراوى دار الهداية
القاهرة - سنة ١٩٨٦ .
- ١٧ - جيمس هنرى ستيد : تطور الفكر والدين فى مصر القديمة ترجمة ذكى سوس دار الكرنك القاهرة
سنة ١٩٦١ .

- ١٨- رحمة الله خليل الهندي : انظار الحق ، طبعة عمر الدوقسى .
- ١٩ - موريس بوكاي : الكتب المقدسة فى ضوء العلم الحديث .
- ٢٠ - د . محمد كمال جعفر : الاسلام بين الاديان مكتبة دار العلوم القاهرة سنة ١٩٧٧
- ٢١ - د . محمد عبدالله الشراوى : فى مقارنة الأديان مكتبة دار الهداية القاهرة سنة ١٩٨٦
- ٢٢ - د . محمد نعيم ياسين : الإيمان مكتبة العلاج بالكويت سنة ١٤٠٢ هـ
- ٢٣ - موسى محمد على : التوحيد مفتاح دعوة الرسل مصر للطباعة ! القاهرة سنة ١٣٨٣
- ٢٤ - A . C . Bouquet, Comparative Religion, Peican Books, Published
By BeGuin Books, University of London.
- ٢٥ - A.F. Collins, Introduction to The New Testament, SCM. Press,
London, 1983.
- ٢٦ - A.R. Gibb, Mohammedanism. Oxford. 1948.
- ٢٧ - H.Frankfort and Others; Before Philosphy Benguin Books, 1949.
- ٢٨ - Herve Rousseau; Les Religions "Que Sais-je" Presses universitaires
de France.